الفصل الرابع

تساقطت بتلات زهر الرمان الشاحبة بفعل نسائم اخر العصر التي اتت بارده لمثل هذا اليوم فدلت على ان الصيف سيهجر المواسم ويستعد للرحيل .تاملت ايزابيلا الموج الذي يكاد يقفز من لوحتها التي جسدت منظرا للبيت بحدائقه الشاسعة وزرقة البحر المتفاوته كما لو كان سيحتوي المكان بين مده وجزره. عادت لتستكين بظهرها الى جذع الشجره مريحة اصابعها من تصلب ساعات لم تشعر بانقضائها الا بعد ان تركت الريشة من يدها. اغمضت عينيها تعطيها هي الاخرى نصيبها من الراحة فسحرها صوت الريح وهي تنساب بين الاغصان فتميل بها لياتي الصوت كلحن بدائي يعزف عبر قصبة ناي قديم .

ازاحت خصلات شعرها التي استجابت لما حولها وهي مازالت مطبقة جفنيها .لقد كانت ماخوذة بالجزيره ولقد تحقق وعد ادريانا حين اخبرتها واثقة بان نوفولا هذه الجزيرة المنسية فالبحر الادرياتيكي ستفتنها. لم ترغب فالتفكير بشيئ اخر ارادت ان تتمسك لاطول مدة بهذا السلام الذي يغمر روحها بعيدا عن كل ما يتعبها وبعيدا عمن يتسببون بذلك لكنها لم تستطع فقد سمعت صوت المروحية تقترب لتهبط في المكان الذي خصص لها لقد سمعت هديرها مغادرا هذا الصباح وبما ان جيوفاني كان موجودا على الغداء فلابد ان نيكولاي قد ذهب بها لمكان يحتاج وجوده العاجل فهم عادة يستعملون القارب ان صح تسمية اليخت الصغير بقارب . تنهدت متحسرة على عالمها الصغير الذي تخيلته قبل قليل والذي سيتلاشى بمجرد دخولها عبر بوابات ذاك البيت .قد تتحمل البعض وتتغاضى عن البعض الاخر لكنها ابدا لم تعرف كيف تتصرف تجاه ما خلف الالوان الرماديه وذاك ما يتبعه اوغستين ونيكولاي كانا يربكانها بجمل او تصرفات لاتفسير لها مما يتركها امام رد فعل عاجز وهذا اكثر ماتمقته فيهما.

www.liilas.com

عادت للبيت لتصادف صوفيا التي اسعدتها رؤية اللوحة التي لم تجف الوانها بعد ومازالت بحاجة لرتوش اخيره .

- لقد نسيت بانك تحملين شهادة في الرسم ..هل اطمع بان تاخذي بورتريها لي .

- سيسرني ذلك .

وبعد حديث قصير معها تابعت صعودها ودخلت حجرتها حيث اغتسلت سريعا وبالكاد استبدلت ثيابها حين سمعت الطرقات الخفيفه على بابها .فتحته لتفاجا بصوفيا مرتدية ثوبا باهي الحمره وقد اعتلت راسها قبعة قمحية ذات تفاصيل دقيقه .

- نسيت ان اسالك اين سنجلس .

لم تعرف كيف تجب بل لم تملك فكرة عما تتحدث به المراه . ارادت ان تخبرها بانها تظن ان جلوسهما سيكون فالصالة كالمعتاد .الا ان العجوز تابعت لتجيب سؤالها بنفسها .

- حسنا ما رايك بهذا اكون بين اوراقي في الركن الذي وضعت به مكتبي الخاص فهناك اضاءة جيدة ولا ادري اشعر بانها ستبدو رائعة .

صمتت تنتظر راي ايزابيلا التي مرها الكلام كلغة غريبة عليها .وقبل ان تسالها عادت صوفيا لتميل بوجهها كمن يتخذ وضعية تفكير عميق وبلهجة ثقيله اردفت .

- هذه زاويتي المفضله فالصور واظن ان تعبيرا كهذا ينفع لمن مثلي سيكون بين اوراقه المهمه .

اخيرا توضح شيئا مما يجري امامها فهتفت .

- نونا اتريدينني ان ارسمك الان .

- اعتقد ذلك ..الم نتفق قبل قليل على ان ترسميني .

- ظننتك تقصدين .. حسنا ربما فاتني شيئا اثناء الحديث فما رايك ان يكون موعدنا بعد العشاء بساعه .

- لا باس ولو ان ريشتك سيفوتها التالق الذي احسه في هذه اللحظه .

- صدقيني نونا ما لديك من تالق يحتاج الكثير ليخبت .

ضحكت العجوز ثم فاجاتها بقولها .

- صغيرتي قد ترين ثيابي صاخبة لمن هي في مثل عمري .. لكنني اكتشفت مبكرا بان الالوان سببا يضفي السعادة ليومي فاقسمت الا احرم نفسي ذلك لارضي مزاج الاخرين .

- نونا احب حقا ما ترتدين وبطريقة ما اجده

www.liilas.com

معبرا عن التوهج في روحك .
قالتها بما يشبه الاعتذار فالعجوز التي يختفي ذكائها خلف حركاتها الهائمة قد التقطت السخرية الضئيله في حديث ايزابيلا التي لم تقصد سوءا به .
- ليكن بعد ساعة من العشاء ..بيلا ارغب حقا ان ترسميني كما انا .
- ستكون لوحة من اجمل ما رسمت اعدك بذلك .
- لا تحاولي ان ترضيني عبر الريشه فلا اتعرف فالرسمة على وجهي ..لكن فقط اردت ان اسالك امن الممكن ان اكون انحف قليلا اعني فقط بضعة غرامات .
- بالتاكيد ولو اني ارى انك لاتحتاجين ذلك .
- هناك شيئ اخر ..تلك الخطوط بجانب عيني اليسرى امن الممكن ان تتجاهليها ليس كليا لنقل باني في غنى عن واحد او اثنين منهما .
جاءت ابتسامة ادريانا عفوية تجاه ما تفوهت به صوفيا ثم خرجت لتشاهد معها المكان الذي قررتا ان ترسم به الخطوط الاوليه للرسمه .كان جناح صوفيا مفروشا بالاثاث الذي لن يناسب سواها الوان قوية ومشرقه . جاء تداخل اللون القرمزي والاصفر الليموني جميلا وقد توسطتها لمسات من اللون الارجواني .اما البقعة التي اختارتها ليتم رسمها فيها فكانت بالفعل مناسبة لها ورغم انها كانت تفضل ان تكون رسمة تعكس ضوء النهار من خلفها بما يضاهي شخصيتة صوفيا المنفتحه لكنها فالنهايه رضخت لرغبتها حيث ارادتها مثيلة للرسومات الكلاسيكية التي طالما اعجبتها .
- تعلمين لقد بدات قبل عامين بجمع كل ما يتعلق بالاسره من مراسلات وقصص وصور لاجمعها في كتاب فقد ادركت بان الاجيال القادمه لا تذكر شيئا عن اسلافها وهذا ما سننتهي اليه يوما..لقد احزنني هذا الخاطر فبدات هذه المهمة واعترف باني مؤخرا بت متكاسلة وهذا ما ساعمد على تصحيحه .
- اظنك تحتاجين عونا من احدهم .
قالتها ايزابيلا وهي مبهورة بالخزائن التي رصت بها المجلدات والاوراق التي تكومت فوق المكتب .
- اعلم لكنني لا املك حقا تلك الثقة لاسلم عمل منبعه الحب الخالص لايدي غريب ..لقد كانت ادريانا تساعدني حتى وقت قريب الا انها منهمكة هذه الفتره بتتبع موضوع بحثها فالطيور ضمن رسالتها للماجستير .

www.liilas.com

- لا ادري نونا يبدو فعلا عملا شاق من الصعب ان تنجزيه وحدك .
- اعلم لكنني اعول على اقناع احداهن .
اخبرتها النظرة المتراقصة في عينيها عن هوية الشخص الطامعة في مساعدته فجاء ردها اليا .
- اوه لا .. لقد قلتي بانك تريدين احدا من الاسره وانا حتى لو حملت اسمها الا اني اماثل الغريب جهلا بكم .
- حبيبتي وهذا بالفعل ما سيصلح الخلل فتكون فائدة مشتركه وستعلمين الكثير عن اسرتك .
بدت المراة سعيدة بفكرتها بحيث لم تطمح ايزابيلا لمناقشتها خاصة وهي تعلم بان وجودها سينتهي ما ان تنال مبتغاها وهو ما قد يحدث في اي لحظه .ومن يدري ما قد تكشف تلك المجلدات والاوراق لعله امرا سيصب في مصلحتها ويختصر الطريق .هزت كتفيها مجيبه.
- لاباس نونا ساحاول ان افيدك بقدر ما استطيع لكني ومن الان اخلي نفسي من اي التزام .
- اوه بيلا سعيده باننا سنمضي مزيدا برفقتك .
اعترفت ايزابيلا مرغمه بانها احبت كثيرا الاحساس الذي داخلها كون صوفيا تبدو سعيدة حقا من مجرد قضاء وقت معها بين اوراق قديمه . صادفتا اثناء خروجهما نيكولاي الذي يقع باب الجناح الذي يقيم به في اخر البهو فيما باب جناح اوغستين يقابل باب الحجرة التي تركتاها للتو فخطر لها متاخرا بانها قد استعجلت الموافقه فهي ستعبر حقل الغام عند دخولها وخروجها وقد فات اوان التراجع .
القى نيكولاي بقبلة سريعه على خد صوفيا قبل ان يتابع السير بجانبهما مكملا اغلاق ازرار اكمامه وقد التمع شعره الرطب وتالقت بشرته الحليقه لم تفهم لما تظل تتخيل سماع صوتا اعلانيا لمنتج رجالي كلما راته منتعشا ولا مباليا كالان .
كانت شاكرة تكفل صوفيا بالحديث دون ان تنتبه للصمت الذي نال من الاثنين على جانبيها .لكنها كادت تخرج عن صمتها الذي اقسمت عليه حتى لايستفزها في لعبة بات يجيدها .وذلك حين سمعته يعقب على نية ايزابيلا في مساعدتها في جمع الاوراق وايضا اللوحة التي سيتم رسمها .
- بارك الله قلب ايزابيلا الطيب..شيئ لا يصدق في وقتنا هذا تفعل ذلك و دون مقابل .
- بالفعل بارك الله قلبيهما هي وادريانا لم

www.liilas.com

لم يترددا في عرض مساعدتهما لي .
ببلوغهم الصاله ابتعدت لتجلس بالقرب من جيوفاني المستغرق في حديث هادئ مع والده قبل ان ينهض ليستقبلها مبتسما .

- اين كنتي تختبئين طيلة اليوم .
- اخذت نزهة طويلة وتركت العنان ليدي التي اشتاقت الرسم .
- ستجدين مئات الاشياء الجميلة التي تستحق الرسم هنا ليس اقلها وجهي هذا .
- ما خطب اهل هذا البيت لابد ان المرآة تعكس لكم شيئا يفوق الواقع فانت ثاني شخص في اقل من ساعة يريدني ان ارسمه .
- ومن الاخر الذي يظن بانه يفوقني وسامه .
- نونا .
- لا .. ساكون الخاسر امام تلك القبعة التي ترتديها .

اقترب منهم سيرجيو الذي ترك الصوفا حيث جلست صوفيا ثم قال بطريقته المتزلفه .

- اذا فالفن يسري في عروقك عرفت للتو بانك سترسمين صوفيا .. هل اطمح بان اكون التالي (ثم اخفض نبرته لما ظنه سيكسبه صوتا مغويا) و اعلمي باني لا املك تحفظات تجاه الطريقة التي سترسميني بها .

غص جيوفاني بجرعة العصير الذي كان يرتشفه ازاء الفكرة التي اوحى بها كلام الرجل الاخر . ثم راح يضحك غير قادر على تمالك نفسه . اما ايزابيلا فتمتمت بابتسامة متهكمه .

- اشعر باني قد فتحت صندوق باندورا .

تقدمت ادريانا بصحبة سلينا للصالة مختصرة الاجابة على ايزابيلا ليعود سيرجيو كالجرو المطيع يدور حول زوجته التي رمقته بنظرة قاسية كانت كافية لتبقيه بجوارها.

اتى العشاء تكرارا لما جرى بالامس ولو ان ايزابيلا تاكدت هذه المرة بان تحتفظ بافكارها لنفسها . فكانت شبه ساهمه حين الحت صوفيا عليها بأن تتذوق الحلوى التي قدمت بطريقة جميله. قطعة كعك محشوه اعتلتها كرة من المثلجات بنكهة الفانيليا وبالكاد اطبقت عليها باسنانها حين لذها الطعم الحلو للفراوله فجفلت بقوة موقعة ملعقتها بصوت مسموع .احست بالانظار تتجه اليها فيما اعادت صوفيا الملعقه لطرف الطبق وهي تشاهد ايزابيلا ترفع المنديل لفمها لتبصق الطعام .

www.liilas.com

- مؤسف بانك لم تحبيها ظننتها ستروق لك ..هل تريدين كاس ماء.

هزت ايزابيلا راسها رافضة ومع هذا مالت صوفيا لصب كاس ماء وسلمتها اياه فوضعته بجانبها دون ان تمسه .مما دفع المراة لتردف .

- اتريدين ان اخبر الطاهي بان يحضر طبق حلو اخر .

فعادت لتحرك راسها نافيه وكل ما كانت ترغبه ان تكف صوفيا عن عرض مساعدتها. فقد لمحت التقطيبة التي اعتلت جبين اوغستين ولابد بانه قد ظن صمتها نوعا من الدلال الطفولي .راحت لاحقا تحرك الشوكة في طبقها متظاهرة بالاكل وراجية ان ينتهي العشاء سريعا .

- لما لا تاكلين ..ما الخطب .

رفعت عينيها تجاه اوغستين املة بلا جدوى الا تكون هي المقصوده .ابتلعت ريقها محركة لسانها غير واثقة به.

- لاشيئ..سوى اني لا احس بالجوع .

قد تكون لفظت الكلمات بصعوبه لم يلحظها الاخرين لكنها شعرت بعيني الشاب الجالس بجواره تتاملها بتساؤل .

- الديك حساسية تجاه الفراوله .

كان اقرب لاقرار منه سؤال وبصعوبة اجابت اوغستين بنعم .تدخلت صوفيا متمتمة بقلق.

- بيلا بجعتي يا الله انتي لا تعانين من حساسية الطعام مازلت اذكر مرة كاد ريكي ان يموت بين ايدينا حين تناول فطيرة بزبدة الفول .

كانت تقصد والد ايزابيلا وبالفعل فهي تملك ذات الحساسية المفرطه تجاه مشتقات الفول. بدت غير مرتاحة وقد تعمدت ان تترك خصلات شعرها تفلت من خلف اذنيها لتستر شيئا من ملامحها . ولو لم تكن مستغرقة في مداراة حرجها للمحت عيني الكهل وهي ترق لما بعد الحنان وقد اطبق الاسى عليه ملجما اصابع يده التي ارادت ان تربت الوجنة التي اضنتها حمرة الارتباك. وعنوة غادرت كلمة المواساة شفتيه .

- لا باس..

تجاوز القصد لب ايزابيلا وظنته يختم الموضوع .فارتاحت شيئا ما لتحول الانتباه عنها .

بعد العشاء مباشره تكشفت المفاجاه باستدعاء احدى الخادمات صوفيا التي خرجت لتعود برفقة رجل ضئيل القامه بدى مالوفا لايزابيلا وسرعان ما

www.liilas.com

تذكرته وهي ترى اختها الذاهله تقترب منه مرحبه .كان خطيبها الذي لم يبقى في ذاكرتها عنه سوى ان اسمه يبدا بحرف الميم او النون . اعتذر الرجل عن تاخره فقد اضطر للبقاء بضع ساعات حيث كان ينهي امورا متعلقة في مكان عمله .

- عانيت لاحافظ على سر هذه المفاجاه لكني نجحت ..لقد كان هاتفك المحمول مغلقا وكنت من اجابه حين اتصل بالبيت واتفقنا ان نجعلها مفاجاه . كانت تلك صوفيا التي رحبت به ضمن جميع افراد الاسرة التي التقته من قبل مرة واحده حين تقدم لخطبتها قبيل عدة اشهر. لم تكن الضحكات التي صدرت عن سلينا وانجيلا بعد غمزات ولمزات مريحة لاذني ايزابيلا .فرغم انها ذاتها ما زالت متعجبة من خيار اختها الا ان ما يحدث من تلك الاثنتين منتهى الوقاحة فجاءت نظرة منتقدة من اوغستين لتعيد الامور لنصابها .

راقبت رد فعل جيوفاني لكنه قابله بابتسامة عريضه مرحبا . فتملكتها الحيره كل شيئ في هذه الجزيره واضح وشديد الغموض في آن معا حتى لم تعد تثق بما تراه .خلال ذلك اقترب سيرجيو منها ليتمتم برايه هو الاخر .

- اعترف بان اختك اما يلزمها نظارة طبيه او ان الحب اعمى كما يقولون .

ثم التفت اليها وعيناه تنتظر موافقتها وكأن من عادتها ان تشاركه افكارها الخاصه .لكنها رفعت احد كتفيها دليل الجهل وقد مالت بزوايا شفتيها المتورمتين مما اضاء الشعلة في عيني محدثها .

- هناك اعتراف اخر .. لا ادري ولكن تاثير الفراولة عليك مثير تبدين الان كما لو كنتي بانتظار قبله .

- ليس من قبل ضفدع تاكد من ذلك .

وكالماء على ظهر البط تجاوزته الاهانه .سمعت رنين هاتفها فاخرجته من جيب بنطالها الخلفي وقد تعرفت على الرقم حيث لم تكن هناك سوى بضعة ارقام معينه من ضمنها هاتف رفيقتها لورا و والدتها التي تتصل بها الان . بعد ان رحبت بها . جاءها الصوت الناعم المهتم .

- اخبريني كيف هو اوغستين ارجو ان يكون بتمام العافيه .

- انه بخير ولا أراه يشكو من اي خطب .

ضحكت فانيسا للاتهام المتواري في صوت ايزابيلا التي انتحت بنفسها خارج الباب الزجاجي العريض

www.liilas.com

حيث الشرفه مراقبة ما يجري داخل الصاله .

- صدقيني معلوماتي موثقه ولا يمكنني ان اشك بها .. والان هل اتوقع ان اسمع مفاجاة منك .

- لا لكن بامكاني ان اقول باني وجدت بضع مفاجات هنا .. الامر اصعب مما ظننا .

- لم افهم اتعنين بانك لم تتوصلي لشيئ خلال هذين الاسبوعين ..لقد خاب ظني بك.

- وكانني اهتم بذلك .. لكن اشعر باني ضللت والمهمه اصعب مما توقعت .

اقتربت منها ادريانا وقد لمحتها في الشرفه ثم حين انتبهت للهاتف بين يديها اشارت لها بانها ستخرج للحديقة حتى لا تضايقها .لكنها انتبهت الى ان اختها حين تجاوزتها راحت تتحدث مع احدهم فاقتربت لتلقي نظرة من الشرفة لتجد بان نيكولاي كان جالسا على احد المقاعد هناك تحت المكان الذي وثقت بانها في خصوصية تامه فيه .حاولت ان ان تتذكر ماقيل في حديثها القصير مع والدتها اي شيئ قد يقوده لسبب وجودها لكنها قررت ان تختصر المكالمه .

- حسنا ساكلمك لاحقا قبل ان انام .

- اممم لست وحدك ..اذا من الافضل ان انهي المكالمه .

- الى اللقاء .

لم تعرف الى اين اتجهت ادريانا فقد اختفت بين زوايا الحديقه لكنها لمحت نيكولاي يرتقي الدرجات فلم ترغب بان تسمع ما يثير اعصابها منه وبما يشبه الهرب اسرعت بدخول الصالة فكادت فتلقاها جيوفاني .

- واو ..هل الشيطان في اثرك .

- يمكنك ان تقول ذلك .

ضحك وقد لمح اقتراب الرجل ذي اللباس الاسود من خلفها .ثم اردف متسائلا .

- الم تبقى ادريانا بصحبتك .

- انها فالحديقه في مكان ما ..

- ايزابيلا ..ابامكاني ان اتطفل في سؤالي .

تنهدت تريد ان تهدئ من تسارع نبضها تجاه السؤال الذي وجه اليها بنبرة خفيضه .ثم نظرت اليه مانعة نفسها عن الاحتجاج بان ليس بامكانه ان يتطفل او يوجه اليها الحديث او حتى يخاطبها بايزابيلا . لكنه تابع كانما اعطته كل اشارات القبول .

- من كان معك على الهاتف قبل قليل .

اذا لقد تمكن من سماع مكالمتها .تصاعد غضبها

www.liilas.com

كالعادة في وجوده بدون مقدمات. لم تصدق ما تسمع احقا يظنها ستخبره بكل تحركاتها ومحادثاتها.وعوضا عن كل ردود الافعال التي خطرت لها الا انها قررت ان تجابهه بمثل اسلوبه الذي يتعمد به اخلال توازنها حين ياتي بردات فعل تخالف توقعها فاجابته وقد اخفضت نبرتها هي الاخرى دافعة بمقدمة ذقنها للامام .

- وما اسوا ما يمكن ان يجري ياسوني لو لم اخبرك.. استضع راس حصان ميت في فراشي.

راته يعقد حاجبيه فعلمت بانها نجحت ثم جاءت قهقت جيوفاني لتعزز غايتها .

- رائع بل يفوق الروعه لقد اجدته تماما ..دون كورليوني .

- دون كورليوني .

جاء سؤاله متجهما . وهو يرى بانه وحده السائر فالعتمة هنا ولابد بانه قد كره ذلك . اكتفت ايزابيلا بابتسامة ساخره فيما اجابه جيوفاني الغافل عن العداء الشبه معلن بين الاثنين .

- دون كورليوني .. مارلون براندو وال باتشينو .. سلسة افلام العراب .

لم تنفرج ملامحه المتجهمه فعلمت بان السينما والفن عالم مجهول بالنسبة له .

- لم املك الوقت يوما لتلك التفاهه ..لكن لدي الكثير لاسمع اجابة ما سالتك عنه .

واخيرا لاحظ جيوفاني الاجواء المشحونة من حوله فادرك بانه بصدد مشاهدة معركة لن يرضى اطرافها بالانسحاب فعرض الخلاص لايزابيلا ممسكا بذراعها .

- ما رايك بان تذهبي معي لنعود بادريانا اظنني لمحت عتاب احبة بينها وبين خطيبها ..والمسكين يبدو ضائعا بدونها خاصة وانه لم يمضي على وجوده الكثير .

سحبها معه ذلك اقرب لوصف مغادرتهم نيكولاي . وجدوا ادريانا تجلس وحدها على مقعد شبه مخفي بين جنبات الحديقه . كانت مرتاحة لرؤيتهم ولا تدري هل كان ما اتى بها هو الغضب او الحزن لكن وحتى في هذه الظلمه بدت شديدة الشحوب حين رفعت راسها لاختها معلقة بصوت اتى كئيبا .

- لم يعد بامكاني ان الوم سيرجيو ان كان قد هوس بما يرى فقد تضاعف حجم حجم شفتيك .

- اعلم وستتحملون هذا المنظر حتى الغد .

ضحكت اختها لكن ما اقرب ذاك التهدج في صوتها للبكاء ولربما لاحظ جيوفاني هذا فقد راته يميل

www.liilas.com

بجسده ناحيتها كانما سيصد عنها ما اثار اضطرابها .
عادوا لاحقا للبيت وقد اعتدل مزاج ادريانا لكن
وجهها ظل شاحبا رغم الابتسامة التي ارتسمت عليه
وهي تلتقي خطيبها عند المدخل فابتعد مرافقاها
ليتركا مجالا لطيري الحب ان يتراضيا .
و بعد يومين شنت ايزابيلا غزوتها الثالثه للمكتب
الذي باتت تتهيب من فكرة التسلل اليه وكم تمنت
ان تدخله دون حاجة لذلك.لكنه عرين الشخصين
الاكثر مقتا لها .كان بعد الظهر وقد اتفق الجميع ان
يحضروا مباراة ثنائية فالتنس وقد انقسموا للاعبين
ومشجعين اعتذرت عن المشاركه وتركتهم متنزهة
فالحديقه .لا تدري هل هو فكرها الداخلي ام ماذا
ذاك الذي قادها حتى توقفت مقابل نافذة المكتب
التي تركت مشرعه واضطرت ان تقف على طرف
قدميها لترى ما بداخله . وجدته خاليا فيما جاءت
التمتمات البعيده تؤكد ان الجميع مازالوا فالصالة
يتناولون المرطبات قبل ان يتجهوا للساحة الخلفية
التي أعدت كملعب تنس . اتكات على مرفقيها
لترفع جسدها فامكنها ان ترى مفاجاة ساره لقد كان
احد الادراج نصف مفتوح في المكتب وهو الدرج
الذي لم تجده قط مفتوحا من قبل .اصاخت السمع

لتعرف مدى استغراق الاخرين بالحديث وتقدر
امكانية الوقت منصاعة اخيرا لحس المغامرة ورافعة
ساقها متبعة الاخرى بها .ابتسمت وذات الاحساس
المتوتر ينتابها من جديد كانما في اي لحظة
ستنطلق صافرات الانذار وتسلط عليها الاضواء .
وكان لديها الحق لتفكر بذلك فما ان لامست ارض
الغرفة حتى سمعت صوت نيكولاي يجيب احدهم
وقد اوشك ان يدخل من الباب .القت بنفسها على
الارض موقعة احد الاقلام لكنها التقطته ثم واصلت
الزحف ملتوية من بين اقدام الكرسي ودافعة
بنفسها لاقصى المكان اسفل المكتب .ظلت حابسة
انفاسها وقد احاط الصمت المكان . وهي متاكدة
بانه قد دخل الحجرة وقد لا يبعد عنها كثيرا .كانت
تهز راسها ذاهلة مما يجري فالرجل يتحرك كظلها
وهو امر لا يصدق .
واخيرا وبعد ريبة جاء صوته من فوقها فعلمت بانه
كان يتحدث فالهاتف لم تفهم سوى كلمات متفرقة
من حديثه الايطالي ولم يكن صوته يشبه قط صوت
شخصية دون كورليوني التي اشارت اليها بل عميق
وبه بحة خفيفه حين يخالط حديثه الضحك او ياخذ
شيء باهتمامه كالان . فكرت بانه لولا تصرفاته

www.liilas.com

لاعتبرت صوته اسرا .لامست راسها تتاكد بانها لم تصطدم بشي خلال اختبائها فما الذي اصابها لتستغرق وفي مثل هذه اللحظه بالتفكير في صوته . رات المقعد يسحب قليلا قبل ان يجلس و لو كان اقصر قليلا لما اضطرت ان تلملم اطرافها وتحشر نفسها فالزاويه .ترى ما الذي اعاده للمكتب وهو الذي ارتدى اللباس الرياضي للمباراة المزمع اقامتها .سمعته يسحب احد الادراج وحفيف اوراق يشير لما بين يديه .وبدا انه ينقل اسماء اشخاص او شركات حيث كان يتوقف بين الفينة والاخرى ليتاكد من استلام الشخص الاخر تلك الاسماء.ثم ختم بكلمة عرفتها بسهوله وتعني خمس دقائق وبدا انه سينتظر مكالمة اخرى بعد خمس دقائق .كان جبينها قد بدى يتندى عرقا .ولم تكن مرتاحة بتنفسها خشية ان يلتقط سمعه شيئا. ورغم انها تظاهرت بانها لم تنتبه لما امامها الا انها اضطرت فالنهايه بان تلاحظ الساقين القويتين وحتى الاثار الباهته لاصابات قديمة في ركبته لكنها لم تجرؤ على رفع بصرها . التقطت اذنها فجاه اللحن الخفيض الذي جاء به صفيره وهو ينتظر .ورغما عنها ابتسمت لقد كان لحن موسيقى فلم العراب التي كانت تعزف بين

حين واخر فالفلم.
لقد اجاده ولم تكن لتلومه فذاك اللحن وضع ليعلق فالذاكره .ولكن لما ادعى بانه لا يعرف عما كانوا يتحدثون لقد كانت متاكده بانه مستاء من جهله بل كان من الواضح بانه غير ملم بالافلام وانه مستغرق تماما في عالم الاعمال .
ثم خطرت لها فكرة جعلت ابتسامتها تزداد تالقا .لابد بانه قد شاهد الفلم مؤخرا وبعد حديثهم ذاك , وبطريقة ما راقها الامر . سمعت هاتفه يرن ثم عاد صوته ليستغرق بالحديث مع المتصل .ليتوقف اثر طرق احدهم على باب المكتب .أتى صوت انجلا المنغم يستفسر منه عن امر ما .اجابه بما لم تفهمه .ثم ضحكت المراة مكملة حديثها الذي اعقبها هو بما معناه يسعدني ذلك .ارتفع احد حاجبي المختبئة اسفل المكتب بسخريه .لقد كانت انجلا ومنذ ان تقرر اقامة لعبة التنس هذا اليوم وهي تؤكد بانها ونيكولاي سيشكلان ثنائي قوي .رغم ان سلينا قد ذكرت بانها قد اعتادت هي ونيكولاي ان يكونا ثنائيا في هذه اللعبه . ترى هل بدات الحرب الخفيه بين حلفاء الامس .وما راي الدونجوان هذا بمشروع النزاع حوله .دارت تلك الافكار الساخره بخلد ايزابيلا وهي

www.liilas.com

متقوقعة في مكانها .واخيرا ذهبت انجلا فيما عاد نيكولاي لمواصلة حديثه .وقد لاحظت بانه راح يطرق باحد قدميه الارض بحركة رتيبه .فظنته ولابد سعيد بما يجري . وقد اغاظها ان تجده فرحا بذلك فعمدت الى رفع راس قلم الحبر السائل مقربة اياه من مقدمة حذاء التنس الابيض وبابتسامة شريره رسمت بخفه عينان بارزتان وابتسامة ملتويه يعلوها شاربان دقيقا الاطراف ترمزان لزير نساء .فيما انتظرت ان يكف عن الطرق بقدمه لترسم على الحذاء الاخر عينان احداهما تغمز واسفلهما شفتين ممتلئتين وحبة حسن فوق احدى زاويتيها .كانت تعلم بانها تغامر بحظها هنا لكنها اكيدة بانه لن ينتبه لحذائه اقله ليس الى ان يخرج من المكتب وستكون قد غادرته في حينها هي ايضا .وذلك ما حدث بالفعل ورغم انه اغاظها باقفاله الادراج بعد انتهائه منها الا انها حين عادت للحديقه ظلت تشعر بالضحكة ترفرف في صدرها بين آن واخر متخيلة لحظة اكتشافه الرسمتين من المؤكد سيشك بها لكنه سيعجز عن معرفة كيفية تمكنها من ذلك . كانت مازالت تبتسم لتصور ماسيحدث حتى وهي مستغرقة برسم صوفيا التي قررت ان تستريح فالبيت فاستغلتا وجود بعضهما للبدء باللوحة التي تاجل رسمها. انتبهت صوفيا لعدم تحرك الريشة على الكنفا فسالتها معتذره .

- لابد بانك قد اجهدت حبيبتي مارايك بان تستريحي قليلا او لو اردت اكملناها فالغد .
- لا لاباس كنت فقط اتاكد من قوة اللون ..ساكمل الان .
- هل بامكاني ان اريح عنقي قليلا احس ببعض التصلب .
- اوه نونا لم لم تخبريني مبكرا لابد انه يؤلمك اميل لنسيان الوقت متى بدات بالرسم .
- لم يستحق الامر ذلك لكنني متفاجئة فقط من المدة التي يستغرقها رسم انسان.
- لم تعد حكاية مسليه اليس كذلك..للاسف هذا كل ما بامكانك ان تفعليه حتى تنتهي اللوحه .

كانت ايزابيلا اثناء ذلك قد بدات بتنظيف الفرش فيما نهضت صوفيا وهي تتمطى مقتربة من حامل اللوحة الى ان اوقفتها التعابير المحذرة على وجه الشابه فتنهدت محبطه .

- كنت فقط اريد القاء نظرة واحده فلعلي احتاج ان احسن شيئا في مساحيق تجميلي قبل ان

www.liilas.com

تمضي بعيدا فالرسمه .

- انظري للمرآه وسترين النتيجة النهائيه .

ضحكت العجوز للجواب الذي شاكستها به ايزابيلا وراحت تتاملها تكمل تنظيف عدة الرسم واجواء من الرضى تحيط بها لقد كان هناك تغيرا ملحوظا فيها فقد بدت اكثر اندماجا فالمكان بل حتى هيئتها الخارجيه ورغم ان الكحل العريض ذاته مازال يحيط بعينيها الا ان شيئا من العدائية التي كانت تكاد تقفز منها قد تلاشت بل بات بامكانها ان تلمح خيال الابتسامة يرتسم على وجهها.

- والان ما الذي بامكاننا ان نفعله بعد ان انتهينا .

اجابت المرح في سؤال الشابة بان تقدمت لتحمل ملفا ضخما وضعته على الطاوله .

- ما رايك بان نبدا بهذا .

- تلك قسوه .. اتريديني ان اجدول هذه والان بعد ساعة ونصف من الرسم.

- نعم انا قاسية ومجحفة وظالمه ..وساستعبدك بهذه الاوراق .

تصفحت ايزابيلا الاوراق ثم اجابتها متنهده باحباط .

- كل شيئ هنا كتب بالايطاليه .

- وانتي تتحدثين القليل منها..وستتحسن بالممارسه ثم انني ساعمل على فرزها و وضع ملخص بكلا اللغتين ما رايك .

- لا ادري ولكنني مستعدة لكل ماتقترحين .

وهكذا امضوا الساعة التاليه بتصفح الاوراق وتفاجات بان الملف احتوى صورا وبعضها قصاصات من جرائد تغطي حدثا ما في حياة الاسره . والجميل ان بعض الجرائد كانت باللغة الانجليزيه . بعد ان انتهت ايزابيلا عادت لتستريح في حجرتها وقد قررت ان تتمدد على فراشها لتريح جسدها فقط قبل العشاء لكنها سرعان ما غفت وقد تمكن منها النوم . لم يكن صوتا ما ايقظها ولكنه احساس غريب .رفرفت باجفانها دافعة غيوم النوم عنها ثم كانت الصدمة فعلى طرف السرير كان يجلس الرجل الذي زادته عتمة المكان بدائيه وعلى ضوء الشمس المتواري استطاعت ان تتعرف بزوايا وجهه .حاولت ان تتجاوز المفاجاه البغيضه فقالت بصوت آمر .

- لن اسالك باي وقاحة دخلت ..فاخرج من حجرتي .

لم يجبها لكنه انحنى مقتربا منها وشادا طرفي الغطاء حول كتفيها باحكام وقد خمن ما سيعقب

www.liilas.com

لكنها لم تمنحه متعة مشاهدة مقاومتها المحكوم عليها بالفشل .

- كنت اعلم بانك حقير بكل المقاييس وخستك وحدها دفعتك لتتسلل لحجرتي بلا خجل .

- كيف استطعت الوصول لحذاء التنس الخاص بي .

- قضية خطيره . انهض عن فراشي ايها الغول الوضيع .

- يالهذا الفم ..كم يحتاج من الصابون لينظف .

- تكلم الجرذ القذر .

امكنها ان ترى وجهه يزداد تجهما ثم اجاب بذات النبرة الخفيضه التي لا تدري لما تصيب نبضها بالاضطراب .

- اتعلمين لو اطبقت بهذه الوسادة على وجهك خمس دقائق وخرجت لن يطالب احد بدمي .

- تاكد باني سافعل .

- كيف يكون هذا فانتي ميته .. هل نجرب ونرى .

- قد تجد بما تفعله نكته لكنها مثلك نكتة سقيمه .. مذ وقعت عيناي عليك علمت ذلك .

- علمت ماذا .. اخبريني فلعله ذات الخاطر الذي راودني بشانك .

- شخص بغيض و شرير و ..

- لا ليس هذا ما خطر لي .. ارتبت فقط بان للجنيات وجود حقيقي .. فاخبريني الان هل استعملت السحر لتصلي لحذائي .

- وكاني ساضيع قدراتي على حذاء .. ابتعد عن فراشي تبا لك .

وصل قرع الباب الخفيف لاذنيها فلبثت في مكانها متصلبه فيما اعتدل نيكولاي في جلسته ناظرا جهة الباب حين عاد الطرق يصاحبه صوت صوفيا الناعم . قفزت كالبرق دافعة الفراش بقدميها وساحبة في طريقها نيكولاي الذي اضطرت ان تدفع به بكل قوة لديها خلف الباب بعد ان لمحت اكرة الباب تميل . لم تكن لتسمح لصوفيا او غيرها ان تاخذهم الظنون امام الصورة التي ولابد وان يساء فهمها في هذه الغرفة المعتمه .

- اسفه حبيبتي ايقظتك من النوم لم اتوقع بان تكوني نائمه .

- انا ..يبدو باني قد اكتسبت شيئا من طبع الاخرين هنا فبت اخذ غفوة خلال اليوم.

كانت بالكاد تلملم شتات افكارها وقد وقفت بزاوية لاتسمح لصوفيا بالتقدم اكثر . اخبرتها صوفيا بسبب حضورها وقد كان كتاب متوسط الحجم

www.liilas.com

لتعلم اللغة الايطاليه حملته بين يديها .

- نسيت بانه موجود في مكتبتي واشك بان اكون من اشتراه لكنه مفيد لكلا الراغبين بتعلم الانجليزية او الايطاليه .

- يبدو مفيدا حقا .

- استعودين للنوم الان او ما رايك بمشاركتي بفنجان قهوه.

- اجل ..اعني لن اعود للنوم ولكن دعيني استبدل ثيابي اولا .

بالكاد اصغت ايزابيلا لبقية حديثها وقد انتبهت لحقيقة انها تقف مرتدية ما لا تحب ان يراه احد فيه .فكان ان صالبت ذراعيها كدفاع ذاتي لكنها شعرت بانها بحركتها تلك قد كشفت المزيد فعادت لترخي ذراعيها.لمحت بطرف عينها خياله الذي تجاوز المكان الذي دفعته اليه مقتربا من طاولة التسريحه عابثا بما عليها .ومقربا زجاجة العطر يشم رائحته .

ما ان اغلقت الباب حتى القت الكتاب فوق السرير ملتقطة رداء النوم الطويل لتضعه على كتفيها وتلف رباطه باحكام حول خصرها . ازداد المكان حلكة لكنها واثقة بان حركة واحده لم تفته.

- كان ذلك في المكتب اليوم .

- لم ادخل المكتب قط ..وما الذي لا تفهمه في كلمة اخرج .

- كنت متاكدا بان هناك رائحة تشبه اللافندر فالمكتب ..مهلا لا يمكن لما افكر به ان يكون هو حقيقة ماحدث .

اقتربت منه وقد وجدت بانها قد هادنته بما فيه الكفايه فمدت يدها لزجاجة العطر تحاول ان تنتشلها من بين يديه لكنه بعناد لم يفلتها واجابها بابتسامة مستفزه .

- مضحك كيف بت بسهوله ادرك خطوتك التاليه .

اضاء السخط عينيها ولم تكن افلتت العطر هي الاخرى وقد لاحظت اتجاه فوهته.فكان ان بادلته الابتسامه التي جلبت الحذر لملامحه .

- اتظن ذلك ..اذا يجدر بك توقع هذا .

ثم ضغطت باصبعها السدادة البلاستيكه لينطللق الرذاذ لعينيه . تراجع متالما ومصطدما بطاولة التسريحه .

- فريجو ..داناتسيوني.

تركته يشتم حاملة بنطالها وقميصها الملقين على طرف السرير خارجة من حجرتها وبلا تردد دلفت عبر باب حجرة ادريانا معتمدة على مخيلتها فاختراع سبب لتواجدها الان وبتلك الهيئه .لكنها لم

www.liilas.com

تكن بحاجة لذلك فالسرير كان مرتبا والحجرة كانت فارغه ولعلها قد خالفت روتين قيلولتها ربما بسبب تواجد خطيبها .

ارتدت ايزابيلا ثيابها على عجل دافعة بالثياب التي تخلصت منها اسفل السرير وقد قررت ان تعود لاحقا لاخذها .لاتدري امازال نيكولاي في حجرتها ام لا وكان احتقارها للجبن الذي ساءها ان يجد محلا في قلبها هو وحده الذي جعلها تعبر الممر باتجاه السلالم وقد استطالت خطواتها عند مرورها ببابها والابواب الاخرى خشية وجود مفاجاة غير ساره تختبئ هناك .

لم تعترف بان شعرة من خوف جعلتها تتفادى الاماكن والمواقف التي قد تؤدى لانفراد نيكولاي بها خلال السهره .وهي ايضا ما جعلتها توافق عرض ادريانا بمرافقتها غدا للمرصد وهو كوخ صغير يقع على قطعة ارض بالكاد تسمى جزيره لكنها ماوى الطيور التي تتابع ادريانا دورة حياتها وسبل عيشها .

وحين رات ادريانا تهم بالمغادره نهضت هي الاخرى وقد قررت ان تسبقها لحجرتها لتستعيد ثيابها التي دستها تحت سريرها.لكنها لم تستطع ان تمنع نفسها من القاء نظرة اخيره على الرجل الذي تفادته طيلة الليله .فادركت لما ظل الجميع يساله عن خطب عينه فقد بدت احداهما شبه مغلقه وشابها شيئ من الحمره فهالها ما صنعت يديها ولم تكن لتلوم نيكولاي حين بادلها التحديق بوعيد فيما راحت صوفيا تدور حوله كالدجاجة حول صغيرها مذ رات حال عينه .

تناولت ايزابيلا ثيابها من اسفل سرير ادريانا وخرجت على عجل فكادت تصطدم بالاثنان الواقفان امام باب الحجره بدت اختها متفاجئة مثلها فيما ظهر الانزعاج جليا على وجه خطيبها ماسيمو .

- بيلا ..هل ..هل اردتني بشيئ .
- اجل لقد ظننتك في حجرتك وكنت اريد ان اسالك عن امر ما .
- تصبح على خير ماسيمو.. سنتابع الحديث فالموضوع غدا .
- آه لاباس ادريانا.. لم يكن شيئا مهما ما اتيت لاجله وساسألك عنه فالغد .
- لا انا اصر وماسيمو كان هنا فقط ليتمنى لي ليلة سعيدة ويذهب .
- حسنا ليلة سعيدة لكلتيكما .

رفع الرجل يد خطيبته بين يديه ليقبلها لكنها

www.liilas.com

لمحت ومضة تشبه الالم تعبر سريعا
ملامح ادريانا .لكنها التفتت اليها مبتسمة تسالها
عما اتت لاجله .فاخبرتها بانها حضرت لتتاكد فقط
عما يجب ان تاخذه معها في رحلتها البحرية
للمرصد غدا .وبعد حوار قصير تمنتا لبعضهما احلام
سعيده واتجهت كلا منهما لفراشها .
لم يكن اليوم التالي كما توقعته ايزابيلا ورغم جمال
الجزيرة الصغيره وما عليها من مخلوقات تثير
الفضول الا ان رفقة ادريانا لم تكن مسلية ابدا فقد
كانت مستغرقة في عملها تسجل البيانات عند كل
اماكن تعشيش مرقمه باعلام صغيرة ثبتت باوتاد
.واستغربت ان بامكان ادريانا ان تعزلها عن عالمها
تماما حتى داخلها احساس غريب بالوحده . فراحت
تجوب الشاطى ناظرة لطيف جزيرة نوفولا يلوح
بعيدا محاولة تفسير الشعور الذي اختلج نفسها
تجاه الجزيرة وساكنيها . في طريق العوده فالقارب
ذي المحرك السريع اطبق الصمت من جديد مما
جعل ايزابيلا ترتاب بان تكون اختها مستاءة بسبب
شيئ فعلته هي .بمهارة ركنت ادريانا المركب ثم
سلمت السجل والادوات التي كانت تحملها لايزابيلا
قبل ان تقفز هي الاخرى للمرسى الخشبي العائم .

خلال عودتهما التقتا ماسيمو الذي رحب بخطيبته
بحديث سريع لكنها فهمت كلمة اختها التي حثته
على مخاطبتها بالانجليزيه لاجل ايزابيلا . فتمتم
الرجل بكلمة كادت تقسم انها المقابل فاللغة
الايطاليه لكلمة سافله .كان الرجل مازال مبتسما
وهو يسير بمحاذاة خطيبته التي ذهب اللون سريعا
من وجنتيها بعد ان كانت قبل قليل تتدفق بفعل
تيار الهواء خلال عودتهم .لم تكن واثقة مما التقطه
فهمها لكنها شعرت بالتوتر يسود بين الخطيبين
فحثت خطاها للتتركهم .عند عودتها للبيت وجدت
الجميع فالصاله باستثناء العم روبرتو وزوجته الذين
غادرا صباحا برفقة العم سلفيو للعاصمة روما.لاحظت
بان من فالصالة كانوا بافضل هندامهم .فتوقفت
لتسال جيوفاني .

- هل ستستقبلون ضيوفا على الغداء .
- لا تقولي بانك نسيت حفلة اليوم .
- اي حفله .
- تلك التي تحدثا عنها نونا وبابي ..حين كنا على
مائدة العشاء .

لقد تذكرت بانهم كانوا يتحدثون عن مناسبة ما
لكنها كانت تصب كل تركيزها على ذاك الصامت

www.liilas.com

على العشاء .اردف جيوفاني حين لم يرى بادرة تدل على تذكرها .

- ابن عمدة البلده حفل زفافه اليوم والكل مدعو اليه .
- الهذه الجزيرة الصغيرة عمده .
- مضحك اليس كذلك رغم ان جدي يمتلك الجزيره الا ان اسرة بالوما ظلت محتفظه بهذا المنصب الذي توارثوه عن اجدادهم فلقد امتلكوا ذات يوم نصف هذه الجزيره .
- هل يكفيني الوقت لاستبدل ثيابي كي أذهب معكم .
- لن تدعنا نونا صوفيا نتحرك بدونك فلا تؤخرينا .
- لا احتاج الكثير اقل من عشرة دقائق وساعود .
- اين هي ادريانا..الم تكوني برفقتها .
- لقد تركتها فالحديقة مع ماسيمو .
- ساذهب لاستعجلها لابد انها هي الاخرى قد نسيت موضوع الحفل .

اردات ان تنبهه بان الخطيبين قد لايرغبا بصحبة احد في هذه اللحظه لكنها تراجعت فقد انبأها حدسها بان وجوده سيكون جيدا لادريانا على الاقل

نظرت لكمية الجينزات والبناطيل الجلديه شاعرة ولاول مرة برغبة بارتداء شيئ اخر قد يقدره القرويين الذين لابد ان يكونوا كاوغستين لايحبذون رؤية البنطال على امراه. واخيرا مدت يدها لتنتشل ثوبا قصيرا داكن الزرقه يتموج قماشه عند ادنى حركة منها ما جعلها اشبه براقصة باليه فيه .راحت تخط الكحل الاسود حول جفنيها ثم اكدت اللون الدموي لاحمر شفاهها متجاهلة الشكل الذي عكسته المرآة للحقيبة الممتلئة باجمل الثياب اسفل الفراش .

بالفعل كان الامر مثلما توقعت فقد راحت اعين بعض الحضور فالحفل تضيق عند رؤية خصل الشعر البنفسجية حول وجهها الذي رفعت مقدمته مثبتة اياها بتاج رفيع ماثل لون شعرها الذهبي .

ربما ضاقت اعين كبار السن هنا لكن الشباب كانت عكس ذلك فقد اتسعت مرحبين بهذه المفاجاه .اسعدها ان ترى كل ذاك الفرح الذي فرض نفسه على وجوه الحاضرين بما فيهم هي .كانت تحب الرقص وقد استطاعت ان تسحر مرافقيها في كل رقصه .وتحاشت الرقص مع سيرجيو الذي كان يتقلب فالنعيم ففتيات القرية تخطفنه واحدة تلو

www.liilas.com

الاخرى وقد جذبتهم وسامته وملامحه الصبيانيه .ولم يبدو بان سلينا اهتمت لذلك كثيرا فقد كانت تكاد تكون تواما لصيقا لنيكولاي الذي لم تشاهده يراقص احدا بل اكتفى بالجلوس وتبادل الحديث المرح مع العمدة والعريس ومن حولهم .ابتسمت لرؤية الجانب اللعوب لصوفيا التي راحت تراقص من كانوا زينة شباب عصرها بما فيهم العمده واعجبها ان ترى خطيبها وقد بانت في حركاته مؤشرات الغيره . لايمكن لاحد ان لايحب تلك المراة الحساسة اللطيفة بحسها المحب للمرح .انتبهت للعمده حين اقترب منها فظنته سيطالبها هي الاخرى برقصه لكنه حدثها بالايطاليه فاجابته بالقليل الذي تعرفه بانها لاتجيد الايطاليه فكان ان جذبها برفق من ذراعها حتى توقف اما جدها وبعد حوار سريع توجه اليها اوغستين بصوته الاجش .

- انه يخبرني بانه علم لتو بعودة ابنة ريكاردو وان الحفل بات حفلان وقد طلب من الفرقة ان تعزف هذه الاغنية خصيصا لنا .

لم تعلم ما الذي ستجيب به والانظار قد شخصت اليها بما فيهم عينان داكنتان ظلت ترواغها طيلة الامس . عادت بانتباهها لاوغستين فعلمت بانه ينتظر اجابة لسؤاله الذي لم ينطق .فابتلعت ريقها قائله.

- حسنا .. يسعدني ذلك .

راته ينهض بطوله الفارع ويتقدم بها لمنتصف الحلبة المرصوفة بالاجر الوردي الداكن .كانت كلمتين جديدتين تدور في بالها مذ اتت هذه الجزيره تعلمت كيف تضيفها لطباعها . الكذب والجبن أو ان هناك صفة جديدة تجهلها تسللت اليها فايزابيلا التي تعرفها كانت لترمي الرفض في وجهه دون مبالاه وبكل احتقار يستحقه .

كانت قريبة منه مستوعبة ضخامته التي جعلته عملاقا بالنسبة لطولها الذي اظهرها كالطفلة بين ذراعيه نظرت لكفه المغضنه بجلدها السميك وقد احتوت يدها الصغيره ثم تعلق نظرها بالخاتم البلاتيني ذي النقش المميز كان مالوفا ولكانها راته يتدحرج على الارض بل كادت ترى يدها تحاول ان تنتزعه من مكانه كما لو كان تصرف اعتادته لم تعلم مجمل ما درات حوله الاغنية التي انشدها الرجل الواقف على منصة صغيره خلفه مجموعة من الكورال لكن اللحن جاء رجع صداه حزينا في قلبها . انتهت الاغنيه فعادا حيث جلس اوغستين بصمت

www.liilas.com

في مكانه وتركت ايزابيلا دائرة الرقص وذات الصمت يحيط بها . لمحت اختها تسير عائدة للجمع الذي تهم بمغادرته وقد بدى على وجهها شيئا من الاضطراب دفع بايزابيلا للاقتراب منها تسالها عما بها فاجابتها نافية ان يكون بها خطب .كانت ادريانا من اشد الناس وضوحا وحتى لو انكرت فقد ظهر جليا انها تكذب لكنها لم تعرف كيف تتصرف تجاه هذا الامر ,كادت تغض الطرف لكنها لبثت في مكانها وقد تعلق بصرها بعنق ادريانا التي اشاحت بوجهها بعد ان لم تتحمل تحديق اختها فلم تدري بانها قد كشفت الاثار الحمراء التي اعترضت بشرة عنقها .تعلم بان المحبين تدور بينهم خفايا تحت بند الحب لكن ذلك الاثر لم يمت لتلك الصفه بشيئ بل اقرب لاثار محاولة خنق .لمحت من بعيد ماسيمو قادما هو الاخر من المكان الذي خرجت منه اختها فقالت بغضب بارد لم تقف لتحلله .

- لقد كان هو من فعل ذلك .
- لا اعلم من تقصدين او ماذا تعنين .
- ادريانا ..اثار اصابعه حول عنقك فلما تنكرين .
- انني لا انكر ولكنها الحقيقه .
- ارى بانه يجب ان يقف عند حده الان ولا اراك سعيدة معه..من الافضل ان تخبري اوغستين .

لكن اختها المسالمة عادة عاجلتها بهجوم مفاجئ .

- ومن انتي لتنصحيني بل كيف تجرؤين .

لو كانتا اختان كبقية الاخوات لكانت تلك الجمله ستمر مرور الكرام ولن ينتهي النقاش حتى تبوح الاولى بسرها لكن الوضع هنا مختلف فقد ارتفع حاجز خفي وتجلى الجفاء فالعينين البنفسجيتين . ولم تشفع يد ادريانا التي ارتفعت لشفتيها ندما ولا صوتها المتاسف .

- بيلا لم اقصد ذلك ..ولكني لم اردك ان تدخلي بابي فالامر .
- وكاني قد اهتم بما يخص احدا منكم .

صمت اذنها عن الهمسة الخافتة لاسمها وابتعدت غاضبة من نفسها اذ كيف سمحت لنفسها بان تبدي اي نوع من الاهتمام بهم فهاهي اختها تعيدها لمكانها الصحيح بكلمه واحده . لقد كانوا يصلون لمكامن اهتمامها وكم ساءها ذلك .تركت قدميها تقودها حتى كاد يتلاشى صوت الحفل تماما متوقفة اخيرا حيث انتهت اليابسه على رصيف الميناء الذي هجر من اهله المجتمعين في حفل اليوم استندت بظهرها لاحد المراسي

www.liilas.com

الحديدية التي تثبت بها حبال السفن مراقبة الاسماك الصغيرة التي امتلا بها حوض المرسى .ثم ادلت بقدميها للماء الذي تغلغل عبر خيوط صندلها. كان الهواء ساكنا لكنه يهب بين حين واخر كما لو ان احدهم ينفخ عبره فيرتعش سطح الماء وتنتفض اشرعة السفن مرتجية الابحار . نظرت خلفها للمستودعات الخشبية التي صبغت ابواب بعضها باللون الازرق والاخر بالاحمر ثم عادت لترفع وجهها للشمس لتغسله بدفئها ممررة اصابعها بين خصلات شعرها لتنعم بذلك . رغم كل شي احبت الجزيره بل حتى ساكني هذه البقعة الصغيره باتوا يمثلون زوايا في حياتها التي باتت تراها تماثل الصحراء جفافا قبل ان تاتي الى نوفولا الشبيهة بالعالم المفقود .لكن كلمة لو الشديدة المراره ابت ان تفارقها .

شعرت بالدغدغة بجانب قدمها فعادت تحدق بالماء لترى العديد من الاسماك الصغيره ملتمة حول قدمها كما لو كانت توزع القبل عليها فراحت تضحك حتى استوقفها الصوت الذي اقشعر له بدنها فقد التقط سمعها الضحكة الغريبة والتي لم تكن بعيدة عنها فالتفتت بحده لتجد ان رجلا ضخما ذو شعر اشعث إبيض نصفه قد جثى على ركبتيه بجوارها دون ان تحس به .لم تحتج سوى ثانية واحدة لتقف على قدميها وكذلك فعل الرجل .كانت تعابيره غير بشريه لم ترى قبلها الخواء بعيني احد . تكلم فكان صوته اقرب لهمهمة ثم مد يده يريد الامساك براسها لكنها انطلقت كالريح من امامه , التفتت خلفها فهالها ان تراه يملك خفة لايوحي بها الجسد الضخم و لم يكن بعيدا عنها ابدا واصلت الجري محاولة دفع الخوف الذي كاد يوهن ساقيها عنها لم تعلم من اين اتت لتعود لكنها دلفت اقرب زقاق اليها وامكنها ان ترى نهايته المسدوده لكن لم يكن هناك مجال للتراجع ولم تجرؤ على تخيل عدم العثور على زاوية تؤدي لمخرج او باب جانبي .

تاوهت فلم يكن هناك سبيلا للدمع كي لايغشى بصرها وحواسها التي استنفرت .نظرت خلفها فراته في اثرها وظله كشيطان يتبعه . اقترب منها بهدوء وقد ضمن ان لا مجال لديها للهرب لكنها رجت ربها الا تكون قد بالغت بتقدير قدراتها الرياضيه فتعلقت بالماسورة القريبة من جدار احد المستودعات متوقعة ان يحثه ذلك على الاسراع ليمسك بها قبل ان تفلت من بين يديه زاد هذا الخاطر جسدها تقلصا لم يساعد عضلاتها في

www.liilas.com

الحركه . اخيرا بلغت السقف فالقت نظرة للاسفل لتجد الرجل يحاول عبثا تسلق الماسوره . اخذت تتهادى بحذر فوق السقف القرميدي المائل فلا مجال للعثرات هنا .و عبر موقعها تمكنت من رؤية البرج الذي اقيم بجانبه الاحتفال متعجبة ان تكون قد ابتعدت كل تلك المسافة دون ان تشعر .حدثها قلبها بان ساعتها لم تحن بعد والا لانتهت عند ذاك الرصيف المهجور لكنها لاتدري امازال في هذا اليوم بقية من عمر فلم تعد تدري اين ذهب الرجل ولابد بانه ادرى منها بالمكان وزواياه .راحت من هذا العلو تقدر الدرب والمسالك التي ستوصلها للحفل و لتفعل ذلك عليها ان تعود الى الارض وسيكون ذلك بمثابة قفزة للمجهول .لم تظن بان كل تلك السعادة ستجلبها رؤية الرجل الذي لن تعرف ابدا كيف تعرفت على هيئتة منذ اللمحة الاولى فصاحت باعلى صوتها .

- نيكولاااااااي ..هنا ..هنا نيكولاااي .

كان يسير على رصيف المرفا حيث كانت من قبل فاخذ يتلفت ممعنا النظر فالمستودعات ثم راته يقلب راحتيه ومبعدا يديه اشارة للتساؤل الصامت عما يراه .

ولم تلمه على ذلك فرؤيتها تتقافز فوق سطح مبنى حتى لو كان ذلك المبنى مكون من طابق ارضي الا انها تبقى شيئ مستغرب . مالت بجسدها تجاه الزاوية محاولة استقصاء مكان الرجل فالزقاق فوجدته مازال يقف عند الماسورة التي تسلقتها لكنه التفت وحين لمحها صاح بشي قبل ان يجري ناحيتها .انتصبت قائمه قاصدة جهة نيكولاي وصائحة تستعجله .

- اسرع .. بالله عليك اسرع .. سوف اقفز .

كانت تعلم انها لن تنتظر في مكانها فالرجل ضخم وقد يغافل نيكولاي بسلاح يحمله .

- لا ..توقفي اياكي ان تقفزي .

كان التحذير قد قيل بشدة وبنبرة قاسيه فتوقفت مكانها .لكن احد طيور النورس مر فالسماء مطلقا صرخة حادة لم تحتملها اعصابها المشدودة فقفزت تجاهه مما اضطره ان يتلقى وزنها المفاجئ والمندفع اليه. انت اسفة له وقد شعرت بركبتها تصطدم بخاصرته فتراجع وهي مازالت بين ذراعيه ليقع متدحرجا معها .علمت ان الالم البسيط الذي اصابها كان ليكون أسوا لو تاخر نيكولاي بضع ثوان نهضت متجاهلة اللسع الذي سببته الخدوش في

www.liilas.com

ركبتيها واعلى ساقها تجر نيكولاي من ذراعه .
- انهض لا وقت لدينا لنضيعه هيا ارجوك .
- ليس قبل ان اعرف مما تهربين .
قالها وهو ما يزال جالسا على الارض ضاغطا بيمينه على احد جانبيه . وقبل ان تخبره ظهر السبب ومن منظورها فات اوان الهرب وتحتمت المواجهه .
- من هذا .
قالتها موضحة قبل ان تتراجع لتصبح خلفه وقد تعلقت يديها لا شعوريا بكتفي نيكولاي .واخيرا نهض من مكانه فراحت عيناها تبحث حولها بما قد ينفع سلاحا في حال مالت كفة القتال لصالح ذاك المتوحش .لكن فارسها المنقذ اخذ ينفض الغبار عن بدلته ويتاكد من التلف الذي اصاب بنطاله .فتساءلت ان كان المستحيل يحدث الان فلم يرى الرجل ام انها تتخيل ذاك الرجل الاشيب .ثم سمعت الغمغمة التي تحدث بها الرجل لتنطق باول ما بدر لها .
- ما الذي يقوله .
اجابها نيكولاي عاقدا حاجبيه وهو يتامل في هيئتها
- يخبرني بانه لابد بان بك مسا من الجنون..وانا اميل لتصديقه .
لم تفهم لما يدور مثل هذا الحوار الهادئ فيما مشاعرها مستعده لتستنزف ما تبقى من الادرينالين في جسدها .
- من يكون هذا الرجل .
- الم تسمعي بان لكل قرية مخبولها الخاص بها .
- لقد كان يريد ان يقتلني او ..لا ادري ماكان يريد لكنه امرا سيئا .
التفت يسال الرجل بنبرة هادئه قبل ان يلتفت لها ويفسر رد الرجل .
- كان ببساطة يريد ان يعيد اليك التاج الذي تركته خلفك .
- انه يكذب لقد كان يلاحقني لغاية في نفسه ..لاتدعه يخدعك .
عادت تحدق بالعينين الفارغتين وللمرة الاولى لمحت السذاجة فيها .اجابها نيكولاي .
- ان اردتي ان تري تجسيد الطيبة على الارض فهي تقف امامك ..ارتور رفض ان يمس الطعام لثلاثة ايام حين مات كلبه فهو يملك قلب طفل .
- وما ادراك ..لربما يتصنع الامر .
- اعرفه مذ اتيت لهنا صبيا .
اخذ التاج من المدعو ارتور وسواء صدقت ماقيل عن

www.liilas.com

الرجل او لم تفعل الا ان الفزع قد غادرها ليحل محله الحذر . سمعتهما يتبادلان الحديث ثم لمحت الابتسامة ترتسم على وجه نيكولاي .قبل ان يتناول التاج الذي تركته بالفعل خلفها ويسلمها اياه تسللت لوجنتيها حمرة الخجل للموقف السخيف الذي شهده نيكولاي .

- انه يخبرك بانه يعترف بك خليفة له بارتداءك هذا التاج .
- خليفته بماذا .
- وما رايك .
- كان غباءا ان اسال .
- اتفق معك .

لم تجب هذا المتحاذق الذي يبدو انه متفق مع ما ينال من عقلها .جفلت حين تقدمهم المدعو ارتور يركض وهو يصرخ قبل ان يلقي بنفسه على الارض . انزعجت مما ترى فلم تفهم ماخطبه لكنها استيقنت المغزى حين راح يصيح باسم نيكولاي محاكيا صوتها لقد كان يقلد ماجرى استاءت وقد تصورت ما سيجري ما ان يعودوا للحفل ففي نصف ساعه ستكون اضحوكة المكان .

ادركت ماكان يقصد نيكولاي بطيبته فقد اقترب منها حين لمح انها مازالت متجهمه ولم تشاركهم الضحك . ولابد انه اراد ان يعوضها بطريقته فمد يده لجيبه مخرجا برتقالة منه وعارضا على ايزابيلا ان تتقاسمها معه فهمت برفضها. فلا تدري من اين التقطها او ما حال جيبه رغم ان ثيابه وبغرابة كانت نظيفه .

- لو وافقته لاسعدته لبقية يومه .

كان ذاك نيكولاي حاثا اياها على اخذها منها فعادت تتامل ملامح ارتور وعينيه المائلتين بحزن رغم ابتسامته ففاجاها قدر الشفقة التي شعرت بها تجاهه . مدت يدها لتاخذ نصيبها منه لتجده قطعة من قشرة البرتقال الخاليه من الفاكهه وضعها في يدها بكل كرم .مما اضحك نيكولاي ومرغمة وجدت الامر مضحكا فعمدت لدس القطعة في كف نيكولاي بعد مواصلتهم سيرهم .

- لم اعتد في بلادي ان اكل قشر البرتقال فهنيئا لك به .

تناولها منها وبعد خطوتين فقط سمعته يقول شيئا فالتفتت اليه لتلذع عينيها بالرذاذ الذي وجه مباشرة نحوها. فقد ثنى نيكولاي متعمدا قشرة البرتقال بين اصابعه لياتي تاثيره موجعا .راحت

www.liilas.com

تعصر عينيها الدامعتين .

- عليك اللعنه لما كان ذلك .
- لتعلمي باني قد استظرفك لكني لا انسى .. و صدقيني هذا لا يقارن بما فعلته بي .
- ايها الحقود .
- لست كذلك ولكنه انتقام ضئيل ثم انه لن يترك اثرا سوى للحظات .

لم تجبه وقد تعالت ضحكات ارتور الذي فهم اخيرا ما فعله نيكولاي بقشرة البرتقال وكانها اعظم نكتة فالعالم وعادوا للحفل وهو مازال يضحك لذلك فاملت ان ينسيه هذا ما حدث في اول لقائها به .

تركهم ارتور ما ان راى المائدة العامرة بالطعام فيما لم تجد مكانا فارغا سوى المقعد الذي وفره نيكولاي لتجلس قربه .كان الجميع قد التزموا مقاعدهم وعم المكان شيئا من الهدوء فالعروس ستاتي الان وستبدا مراسم الزواج .و قبيل ان يعلن بان العريسين باتا زوجين تعالى الهمس فالناحية الاخرى للممر الطويل الذي عبرته العروس قبل قليل باتجاه زوجها . لمح رجل فالعقد الخامس متكئ على شابين بحيث لم تلامس قدميه الارض كانوا يتجهون ناحية العريسين والرجل باد الانفعال كما لو كان يحث قدميه التي لم تطا الارض على الاسراع التفتت ادريانا ناحية الزوجين فوجدت العروس بالكاد تتمالك نفسها وقد وجدت الدموع طريقها عبر وجنتيها .فهمست ايزابيلا ماخوذة بما يحدث امامها .

- ما الذي يجري .

هز نيكولاي كتفيه دليل الجهل ثم سال العجوز التي بجانبه وكانت هي الاخرى قد رفعت منديلها تمسح عينيها . وبعد حديث مقتضب مال ناحية ايزابيلا ليبعد الخصلات التى اخفت اذنها كانه بحاجة ليفعل ذلك كي تسمعه فشعرت بانفاسه القريبة تلامس عنقها. بالكاد منعت قشعريرة هددت بفضح شعورها المتزايد بقربه .واخيرا جاء صوته بذات النبرة الخفيضه التى باتت تربطها بانفعالاته ..وان لم يكن غاضبا الان .

- ذاك والد الفتاة لم يتمكن ان يزفها بنفسه بسبب قدميه لكنه اقسم ان يعبر الطريق اليها ليلبسها وعريسها طوقي الياسمين .

عادت ترى ما يحدث بمنظور اخر وجهاد الرجل للوصول لابنته وقد فاضت عينيه شوقا وحنانا فيما ابتسمت ابنته من بين دموعها حاثة اياه .ما ان

www.liilas.com

ما ان اقترب حتى تركت يدي عريسها لتعانق والدها الذي رفع طوق الياسمين محيطا به عنق ابنته ثم عريسها .لم تعد ايزابيلا ترى الصورة التي غامت امام عينيها فراحت تشد على اسنانها محاولة التماسك امام الدموع التي هددت بفضح تاثرها .فكرت بان كل ما مرت به اليوم لابد و قد جعلها سريعة التاثر. تظاهرت بانها لم ترى المنديل الذي وضعه نيكولاي في حضنها مشيحة بوجهها عنه مدعية مراقبة امرا اخر فالحفل لكن دمعة خائنة فرت من سجنها لتدركها اصابع نيكولاي قبل ان تسقط .

- خذي المنديل .. لا داعي لكل هذا فخلال اسبوع سيتمكن من السير فما هوى الا التواء بسيط اصابه وهو يستعد للقدوم .

التفتت حانقة تحدق فيه لقد تعمد ان يضللها حين لم يخبرها حقيقة ماتراه لقد تعمد ان يوهمها بان الرجل معاق تماما . عاد الغضب ليشتعل من جديد منهيا ما يشبه الهدنة التي حلت لفترة بينهم فنهضت مبتعدة عنه .

بعد ان رقص العريسين معا عاد الجميع لحلبة الرقص أما هي فقد انتحت مكانا هادئا حاملة معها طبقا يحتوي بعض المقبلات وقد قرضها الجوع بعد هذا النهار الحافل الذي اتي عصره والكل مازال به طاقة للرقص . لم تكد تتناول الطعام حتى فوجئت بارتور يدعوها للرقص قائلا .

- تلك الانسه الجميله اخبرتني بانك سترقصين معي .

نظرت للجهة التي اشار اليها لتجد سلينا وانجلا تجلسان بقرب بعض وقد بدتا بانتظار مايجري لانهما ما ان راينها تضع طبقها على جنب وتنهض حتى استغرقتا فالضحك .لقد ارادتا ان تحرجاها وتثيرا اضطرابها تجاه طلب ذاك الرجل الاشعث . لكنها كانت قد تعرفت على ارتور ولم تكن ابدا لتهينه برفضها و وحده الانسان الذي لن يهمها ان تصادقه سيسخر مما يرى .أخذ ارتور يرقص بانفعال ان كان ما يقوم به من قفز وتلويح بيديه رقص . اما هي فبعد ان وجدت بانه لن يبدو مناسبا ان ترقص اي رقصة تقليديه معه قررت مجاراته بما يفعل فراحت الضحكات تتعالى من شفتيها دون ان تدري اي صورة جميلة للصبا والمرح قد عكست لانظار الحضور وشيئا فشيئا انضم الشباب الاخرون لتلك الرقصة العفوية

www.liilas.com

المبهجه .فيما تعالى تصفيق البقيه .
اخيرا انتهت الرقصه وقد اسعفها جيوفاني بكاس عصير كانت بحاجة اليه بعد كل ذاك الرقص والضحك . عادت لتاخذ طبقها الذي تركته ومكملة غدائها ومتابعة مايجري .
دون مقدمات تمكن منها سعال متواصل لم تفلح معه ان تجلي ريقها الذي بدى بان شيئا شبيه بطرف دبوس قد علق به فراحت تنظر لطبقها دون ان تفهم مايجري .لكن احساسا مريعا انتابها فقد كانت متاكدة مما يحتوي طبقها و ماتشعر به اقرب لنوع غير مسبوق من الحساسيه و بالكاد نهضت لا تدري ما الذي عليها ان تفعله . شعرت بحنجرتها قد اطبقت ولم يبقى سوى معبر ضيق للهواء.
افزعها ذلك فراحت تصطدم بالرقصين والجمع امامها تريد ان تصرخ ليسعفوها لكن لامجال للصوت كي يخرج .لم تكن تدري ما الذي ستفعله لكن غريزتها وحدها قادتها حتى توقفت امام المقاعد العريضه و صوت كالصفير يصدر عبر تنفسها الذي بات كما لو كانت تاخذه عبر قشة بلاستيكيه .لم تدرك بانها مازالت تحمل طبقها الى ان وقع متحطما عند قدمي اوغستين ونيكولاي الذين توقفا عن الحديث حتى قبل وقوع الطبق وقد شد مثولها امامهم انتباههم .

www.liilas.com